السلطان بركة خان ودوره في نشر الإسلام بين المغول في مملكة القبيلة الذهبية (656-666هـ / 1257-1267م)

Sultan Berkè Khanand role in spreading Islam in the Kingdom of the Golden Horde (656-666H / 1257-1267A.D).

مريم بيري*

جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، meriem.bairi@univ-alger2. Dz

تاريخ الاستلام: 2021/09/10 تاريخ القبول: 2022/01/07 تاريخ النشر: 2022/06/07

ملخص:

تعد مملكة القبيلة الذهبية (630-907هـ / 1233-1502م) واحدة من الممالك المغولية التي تمخضت عن تقسيم جنكيز خان للإمبراطورية المغولية وهي تحتل موقعا استراتيجيا بين تلك الممالك ، نظرا لقربها الجغرافي من أوربا و لأنها أول مملكة مغولية تعتنق الدين الإسلامي بفضل اسلام أحد خاناتها وهو السلطان بركة خان، الذي شرح الله قلبه للإسلام فكان أول من أسلم من المغول ومن أسرة جنكيز خان كله، و بعد توليه الحكم أعلن مملكته مملكة إسلامية ، تقام فيها شرائع الإسلام ، كما عمل على نشر الإسلام بين أهله و قومه من المغول و بين بقية الأجناس التركية التي انضوت تحت حكم المغول في مملكته، وعمل على نشر الإسلام في المناطق المجاورة لمملكته فانتشر الإسلام في منطقة حوض الفولغا الذي تحول الى نهر إسلامي خالص، وفي شبه جزيرة القرم ومنطقة سيبيريا الغربية .

كلمات مفتاحية: *بركة خان، القبيلة الذهبية، الإسلام في القبيلة الذهبية، إسلام المغول.*

Abstract:

The Kingdom of the Golden Horde (630-907H/1233-1502AD) is one of the Mughal kingdoms that resulted in the division of the Genghis Khan into the Mongol Empire. It is strategically located between these kingdoms due to its geographical proximity to Europe and because it is the first Mongol kingdom to embrace the Islamic religion thanks to the Islam of one of its cells, Sultan Berké Khan, Which God explained his heart to Islam was the first Muslim from the Mongols and the whole family of Genghis Khan.

After he took office, his kingdom declared an Islamic kingdom, in which the laws of Islam were established. He also spread Islam among his people and his people among the Mongols and among the other Turkish races that were incorporated under the rule of the Mongols in his kingdom. He spread Islam in the neighboring areas of his kingdom. The areas of the Volga basin, which became a pure Islamic River, continued to spread in the Crimea and Western Siberia

* المؤلف المرسل: مريم بيري، الإيميل : meriem.bairi@univ-alger2. Dz

***Keywords**: Sultan Berké khan, the Golden Horde ,Islam in the Golden Horde, Islam of the Mongols.*

1. مقدمة:

شهد القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي ظهور المغول[1] على الخريطة السياسية لأسيا بقيادة جنكيز خان الذي تمكن من توحيد القبائل المغولية المتفرقة والمتناحرة فيما بينها وأخضعها لسلطته، وأعلن نفسه حاكما عليها سنة 604هـ / 1206م، ثم بدأ بالتوسع في مناطق غرب ووسط آسيا، حيث نشر جيشه القتل والرّعب والدّمار أينما حلّ وارتحل، فاجتاح الصين (608 - 612هـ / 1211- 1215م)، ثم استولى بعدها على جميع مدن وأقاليم الدولة الخوارزمية (616-620هـ / 1219-1223م) ليؤسس على أنقاض تلك الدول إمبراطورية مترامية الأطراف شملت أجزاء واسعة من القارة الأسيوية، امتدت من منغوليا الى غربي فارس، ومن المحيط الهندي إلى الشمال في روسيا.

وقد تعامل المغول مع الشعوب التي احتلوها بقسوة وعنف، فسفكوا الدماء وقضوا على كل ما اعترض طريقهم، ولم يتورعوا عن قتل الأسرى والتنكيل بأهل المدن المفتوحة، ولم يقيموا وزنا ولا احتراما للتراث الثقافي والحضاري لتلك الأمم، لكن لم تمض إلا سنوات قليلة حتى تمكن الدين الإسلامي من أن ينير قلوبهم، ويحدث تغيرا جذريا على ما نشأوا عليه من قتل ودمار، لذلك فإن هذا العمل يهدف الى ابراز مظاهر ذلك التحول العقائدي للمغول وكيف تحولوا من أعداء للإسلام الى دعاة له ومدافعين عنه، ومن مدمرين للحضارات إلى مؤسسين لحضارة مغولية إسلامية، وعليه سنحاول من خلال هذا المقال الإجابة على عدة تساؤلات أبرزها، ما هي العوامل التي ساهمت في تحول مغول القبيلة الذهبية إلى الإسلام؟ وما دور السلطان بركة خان في ذلك؟ وماهي أبرز مظاهر إسلامهم؟

ولإنجاز هذا العمل اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي في عرض الأحداث التاريخية المتعلقة بنشأة مملكة القبيلة الذهبية وتحولها إلى الإسلام لتكون بذلك أول مملكة مغولية تعتنق الإسلام، وهو ما يعتبر حدثا تاريخيا بارزا ساهم في تغيير العديد من العلاقات السياسية والمظاهر الثقافية للمنطقة، ومهد لتأسيس حضارة إسلامية مغولية امتدت لسنوات طويلة.

2. تأسيس مملكة القبيلة الذهبية.

وفقا للقانون المغولي الذي ينص على أن يقوم الأب قبل وفاته بتقسيم ممتلكاته بين أبنائه، قسم جنكيز خان[2] الإمبراطورية المغولية بين أبنائه الأربعة، وبما جوجي[3] هو الابن الأكبر،

فقد كان نصيبه من ذلك التقسيم المناطق الواقعة بين نهر الفولغا والسواحل الغربية لبحر قزوين التي تشمل ممالك البلغار[4] والروس[5] والجَرْكَس[6] وخوارزم[7] وبلاد القفجاق[8]، وأضاف مدن أَرّان وتِبْرِيز وهَمَذَان ومَرَاغَة إلى حدود مملكته[9]، لكن جوجي خان توفي سنة 629هـ / 1227م أي قبل وفاة جنكيز خان بستة أشهر، وترك عدة أولاد[10].

فقام جنكيزخان بتقسيم المناطق التي كان قد منحها لجوجي خان بين ثلاثة من أبنائه وهم باتو، وأوردا، وشيبان، فعين الابن الأكبر بَاتُو، خانا على بلاد القفجاق مكان أبيه، ومنح لأُورْدَا المنطقة الشرقية قرب نهر الفولغا والتي عرفت بالقبيلة الزرقاء، ومنح لابن الأصغر شَيبَان الجزء الغربي الواقع بين نهري اِيلِي وسَيْحُون والتي عرفت بالقبيلة البيضاء، لكن باتو كان الحاكم الفعلي لكل تلك البلاد والمسير لشؤونها[11]، وذلك نظرا لصرامته، وشخصيته القوية وخبرته العسكرية.

على ضوء هذا التقسيم بدأت تظهر حدود مملكة القبيلة الذهبية التي استكمل بناءها باتو خان (625-653هـ / 1227-1255م) بعد أن قام بسلسلة حملات عسكرية شملت بلاد الروس ومناطق شرق أوربا وصل خلالها بتوسعاته الى حدود العاصمة النمساوية فيينا التي فرض حصارا عليها خلال الفترة الممتدة من سنة (635-640هـ/1237- 1242م) اضطر بعدها لسحب قواته لأسباب داخلية مغولية، وبعد العودة إلى قاعدته التي انطلق منها من بلاد القفجاق، شرع باتو خان في وضع أسس مملكته الجديدة التي أطلق عليها اسم "القبيلة الذهبية" [12] نسبة للون خيام المغول ذات اللون الذهبي[13] والتي عرفت أيضا بمملكة مغول القفجاق، لأنّ الأتراك القفجاق وهم السكان الأصليون للمنطقة قد اندمجوا في دولة واحدة مع المغول، وأصبحت الحدود الجديدة تلك المملكة تمتد من خوارزم إلى أطراف القسطنطينية ومن بلاد الروس إلى القوقاز، وتضم أجناسا وشعوبا مختلفة من المغول والقفجاق والجركس والتركمان وغيرهم.

كما اتخذ باتو خان موقع سَرَاي[14] في الجانب الشرقي من نهر الفولغا لتكون عاصمته وشرع في بنائها واتخذها مقرا لحكمه، وبقي خانا على مغول القبيلة الذهبية إلى غاية وفاته سنة 653هـ / 1255م، ثم خلفه في الملك ابنه سَرْتَاق (653-654هـ /1255-1256م) الذي حكم

مدة سنة و نصف ثم توفي، فتولى حكم المملكة بعده عمه بركة خان (656-666هـ /1257-1267م) الذي عرفت المملكة في عهده تحولا جذريا تمثل في انتشار الإسلام بها، فكانت بذلك أول مملكة مغولية تعتنق الإسلام بفضل السلطان بركة خان الذي أسلم وحولها الى مملكة إسلامية والى واحدة من حواضر العالم الإسلامي خلال تلك الفترة .

3. انتشار الإسلام في مملكة القبيلة الذهبية.

قبل الحديث عن تحول مملكة القبيلة الذهبية للإسلام لابد أن نشير الى أن المغول من الناحية العقائدية كانوا وثنيين وكانت الديانة المنتشرة بينهم هي الديانة الشامانية، وهي ديانة وثنية تتمثل في عبادة كل ما يخشونه من مظاهر الطبيعة، فلهم آلهة في النهر، وآلهة في الجبل، وآلهة في الشمس، وآلهة في القمر، وآلهة في البرق، وآلهة في الرعد، كما كانوا يعبدون أرواح أجدادهم اعتقادا منهم أنّ لها دورا في حياتهم[15]، ولكنهم مع ذلك كانوا يعترفون بوجود إله واحد قادر، الا أنهم لا يؤدون له الصلوات، وإنما يعبدون مجموعة من الآلهة اعتقادا منهم بقدرتها وخوفا من ايذائها [16].

وبعد الغزو المغولي لأسيا نجد أن المغول لم يكنوا متعصبين لدين أو مذهب معين، بل عرف عنهم تسامحهم مع مختلف الديانات، وتقبلهم لها وانفتاحهم على مختلف العقائد الدينية، فجنكيز خان كان لا يؤمن بأي دين أو دولة، لكنه كان يتجنب التعصب والميل لأمة على أمة، أو لدين على دين، كما نرى أن أحفاده الذين ورثوا الإمبراطورية من بعده، أغلبهم اعتنق الإسلام وقليل منهم من اعتنقوا المسيحية، والبعض الأخر بقي على ديانتهم الوثنية سواء الشامانية أو البوذية.

1.3 اعتناق السلطان بركة خان للدين الإسلامي

يعد السلطان بركة خان بن جوجي بن جنكيز خان ثالث الخانات الذين حكموا مملكة القبيلة الذهبية، تولى الحكم بعد وفاة ابن أخيه سَرْتاق بن باتو، وقد دامت فترة حكمه عشر سنوات (656 - 666 هـ / 1257- 1267م)، ذكر المؤرخ ابن تغري بردى من صفاته "أنّه كان جوادًا عادلاً شجاعًا"[17]، ورغم أن المصادر التاريخية لم تذكر الكثير عن سيرته قبل توليه الحكم، فهو مثلا لم يشارك إلى جانب أخيه باتو خان وبقية الأسرة المغولية في الحملات العسكرية وغزوهم لبلاد الروس وشرق أوربا، لكنه اشتهر بكونه أول من اعتنق الإسلام من أحفاد جنكيز خان ومن الأسرة المغولية كلها، كما أن حبه للدين الإسلامي واعتناقه له دفعه

لنشره بين قومه وفي كامل مملكته، وإليه يعود الفضل في انتشار الإسلام بين الشعوب المغولية والتركية وفي مناطق واسعة شملت منطقة حوض الفولغا والأورال وسيبيريا الغربية وشبه جزيرة القرم والتي تحولت كلها الى أراضي إسلامية وشعوبها الى شعوب مسلمة.

أما عن الطريقة التي أسلم بها بركة خان فإن المصادر اختلفت حول كيفية إسلامه والفترة الزمنية التي تم فيها ذلك، ومن ذلك ما ذكره المؤرخ الجوزجاني المعاصر لبركة خان أنّه " أسلم في طفولته ولما صار شابا حفظ القرآن على يد أحد فقهاء مدينة خُوقَنْد"[18]، والحقيقة أنه قد اجتمعت عدة عوامل ساهمت في تحول هذا الخان المغولي الى الإسلام، لعل أبرزها عاملين أساسيين، أولهما الطرق الصوفية التي ساهمت بشكل كبير في نشر الإسلام وبقاءه في مناطق وسط وجنوب آسيا خاصة بعد الغزو المغولي، وثانيها القوافل التجارية ودورها في الدعوة الى الإسلام، لذلك فإن الروايات حول الطريقة التي أسلم بها بركة خان انحصرت أغلبها بين دور كل من العلماء الصوفيين والتجار في تحوله الى الإسلام .

أورد المؤرخ بيبرس المنصور الدوادار في روايته عن إسلام بركة خان أنّ أحد شيوخ الطريقة الكبراوية[19] وهو الشيخ سيف الدين الباخرزي[20] الذي كان قائما على زاوية في مدينة بخارى أرسل تلميذا له يدعى الشيخ خَادِم إلى بركة خان، فاجتمع به ووعظه وحبب إليه الإسلام فأسلم على يديه، ثم توجه بركة خان بنفسه الى زاوية الشيخ ليجدد إسلامه على يديه فالتقى به، وعاهده بأن ينشر الإسلام بين قومه[21]، وهكذا فقد كان للطريقة الكبراوية حضورها ودورها في تحول بركة خان الى الإسلام، الذي تكاد تجتمع المصادر في أن اسلامه تم منذ وقت مبكر وقبل وصوله الى الحكم، أما علاقته بالشيخ الباخرزي، فإنّ الأخير ربما وصلته الأخبار عن إسلام بركة خان فبعث له أحد اتباعه ليتأكد من اسلامه، باعتبار أن مدينة بخارى قريبة جغرافيا من بلاد القفجاق، ثم قام بركة خان بمبادرة شخصية منه بالتوجه إلى بخارى لزيارة الشيخ ليجدد إسلامه ويحصل على بركته، وقد ذكر الحافظ الذهبي أنّ "بركة استأذن أخاه باتو خان في زيارة الشيخ الباخرزي فأذن له فسار حتى وصل بخارى، فبات ليلته الأولى عند باب زاوية الشيخ حتى الصباح، وقضى ليلته كلها وهو يصلي"[22].

وهنا يجب الإشارة الى نشاط الطرق الصوفية في بلاد ما وراء النهر والدور الكبير الذي قامت به في الدعوة الى الإسلام، وأبرزها الطريقة الكبراوية التي كانت مدينة بخارى مركزا لها،

فإلى جانب دورها في مقاومة الغزو المغولي للدولة الخوارزمية فإن مؤسسها وزعيمها الشيخ نجم الدين كُبْرَا[23] يعد من أوائل الناس الذين حملوا على عاتقهم مهمة الجهاد والتصدي للمغول، وقدم حياته ثمنا لذلك[24]، وبعد مقتله قام تلامذته واتباعه بدور كبير في مجال الدعوة الإسلامية ومحاولة استمالة المغول ودعوتهم الى اعتناق الإسلام وقد أثمرت تلك المحاولات في اسلام الكثير من المغول وأولهم السلطان بركة خان حفيد جنكيز خان .

وقد ذهبت بعض الروايات التاريخية الى أن بركة خان اعتنق الإسلام بعد لقائه بتاجرين مسلمين قادمين من بخارى سألهما عن عقائد الإسلام فشرحا له شرحا وافيا أدى إلى اعتناقه الإسلام "[25]، هذه الرواية تؤكد أن بركة خان اعتنق الإسلام قبل توليه العرش و أيام حكم أخيه باتو خان للقبيلة الذهبية، وهو ما أكده الرحالة وليام روبرك[26] الذي ذكر في روايته عن بركة خان "من أن معسكره يقع بين منطقة ممر الدربند[27] ونهر الفولغا، و أن" لحم الخنزير لم يكن يأكل في معسكره " وتلك المنطقة التي كان يسيطر عليها بركة خان ، كانت طريق عبور القوافل التجارية الإسلامية القادمة بين إيران وآسيا الصغرى"[28]، وربّما كان لبركة خان معلومات سابقة عن الإسلام بحكم احتكاكه بالتجار المسلمين العابرين لمنطقته، ولما التقى بالتاجرين المسلمين سألهما عن الإسلام ليزداد معرفة به، فالتجار المسلمون وإلى جانب سفرهم للتجارة، كانوا سفراء في دعوة إلى الدين الإسلامي سواء بالدعوة المباشرة أو بأخلاقهم ومعاملاتهم التي كانت تعكس الصورة المشرفة للإسلام.

الى جانب الدور الذي قام به الشيوخ المتصوفة والتجار في دعوة المغول الى الإسلام والذي أثمر عن اعتناق بركة خان للإسلام، برز أيضا دور المرأة التي تركت بصمتها في الدعوة الى الاسلام، فقد ضمت قصور المغول العديد من النساء المسلمات اللواتي وقعن في الأسر أثناء الغزو المغولي للدولة الخوارزمية، وكانت لهن بصمتهن بين المغول حيث أوكلت للعديد منهن مهمة تربية أبناء المغول والاشراف على شؤون الخدمة في البيوت، وهذا الأمر كان له أثره في نقل العادات والتقاليد الإسلامية الى الأسر المغولية البدوية، التي لم تكن على اتصال بالحضارة على اعتبار أنهم كانوا في منغوليا يعيشون حياة بدائية، وهو ما ساهم بشكل كبير في تحول المغول الى الإسلام[29]، ومن أبرز النساء اللواتي تركن بصمتهن في الدعوة، الأميرة رسَالَة خاتون[30] ابنة السلطان علاء الدين خوارزمشاه (596-617هـ /1199-1259م)[31] التي وقعت في أسر جوجي خان بن جنكيزخان وأصبحت زوجته فيما بعد، وإن كانت المصادر لم تذكر الكثير حول هذه

الخاتون[32]، لكن يبدو أنه قد كان لها بصمتها في التعريف بالإسلام وبالقيم الإسلامية في البيت الذي نشأ فيه أبناء جوجي خان ومنهم بركة خان، نلمس ذلك من تعاطف أفراد هذه الأسرة مع المسلمين، فجوجي خان أظهر معارضته لسياسة أبيه القائمة على القتل والتي راح ضحيتها الكثير من المسلمين من أبناء الدولة الخوارزمية، وقد دفع ثمن تعاطفه حياته، فقد ذكرت المصادر أنه تعرض للقتل بعدما انتشرت أخبار من أنه كان ينوي التحالف مع المسلمين ضد والده جنكيز خان، وكذلك باتو خان عرف عنه أيضا تسامحه مع المسلمين، رغم أنه كما قال عنه المؤرخ الجويني "لا يدين بدين ولا يميل الى أية ملة ولا يعترف بإله ولم يكن متعصبا لأي دين أو عقيدة "[33] ،أما بركة خان فإنّه تأثر بالإسلام واعتنقه[34].

2.3 دوره في نشر الإسلام بين المغول

بعد تولي السلطان بركة خان الحكم في القبيلة الذهبية سنة 656هـ /1257م أعلن مملكته مملكة إسلامية، وأخذ بنشر الإسلام بين أهله وقومه من المغول وغيرهم من القبائل والعناصر التركية التي انضوت تحت حكمه من القفجاق والبلغار وغيرهم، وبفضله انتشر الإسلام في سهوب روسيا الجنوبية القريبة من مملكة القبيلة الذهبية ودخلت قبائل النوغاي[35] في الإسلام وانتشر الإسلام بين شعب الاسكيمو في سيبيريا الغربية[36] التي هاجر إليها العديد من المغول واستوطنوها وأسسوا في مناطقها الجنوبية الغربية إمارة إسلامية مغولية عرفت بإمارة سيبيريا الغربية عاصمتها مدينة سيبر[37]، وبذلك يمكن القول أن اسلام مغول القبيلة الذهبية ساهم في انتشار الإسلام على طول ما يعرف بطريق الفراء الذي يشمل مناطق حوض الفولغا والأورال وسيبيريا، وكذا على طول طريق الحرير الذي يشمل المناطق الممتدة من البحر الأسود غربا الى الصين شرقا .

وبما أنّ مملكة القبيلة الذهبية حديثة العهد بالإسلام، فقد عمل السلطان بركة خان على جلب العلماء والفقهاء من مختلف البلدان، ليعلموا المغول أحكام الشريعة ويفقهوهم في أمور الدين وبالمقابل أكرم هؤلاء الوافدين بالهبات والعطايا[38] وجعل مكانتهم عالية حتى أصبحوا يشكلون في مملكته طبقة اجتماعية الراقية[39]، وبلغ من تقديره لأهل العلم أن جعل بلاطه ومجلسه الخاص مليئا بالعلماء من فقهاء ومفسرين ومحدثين، وكان يقيم بينهم

المناظرات العلمية التي تدور أغلب مواضيعها حول المسائل الدينية، وقد كان يشارك بنفسه في الكثير منها، فتحولت بذلك عاصمته سراي إلى "مجمع للعلم والعلماء والفضلاء والأدباء"[40].

اهتم السلطان بركة خان بالجانب العمراني لمملكته، وحرص أن يجعله على الطراز العمراني الإسلامي فأنشأ المساجد والمدارس لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم كما قام ببناء المدرسة العالية ببخارى، وهي المدرسة التي زارها الرحالة ابن بطوطة وذكر أن بها زاوية وقبر الشيخ الباخرزي، وذكر أنّ "بها أوقافا ضخمة يأكل منها الوارد والصادر" وتحولت مع مرور الزمن الى معلم حضاري للمنطقة فقد قام المؤرخ الرمزي بزيارة المدرسة مرتين المرة الأولى سنة 1293م، والمرة الثانية سنة 1321م، وذكر أنّ بركة خان هو من قام ببنائها، وهي تتكون من ثلاثة طوابق جعل عليها أوقافا كثيرة تحت تصرف الشيخ الباخرزي[41]، وهذا إنما يدل على مدى تعظيم هذا السلطان للعلم والعلماء وامتنانه أيضا لشيوخ الطريقة الكبراوية ودورهم في النشاط الدعوي الإسلامي خاصة بعد الغزو المغولي للمنطقة وكذا دورهم في نشر الإسلام بين المغول .

كما قام السلطان بركة خان ببناء عاصمته سراي على نهر الفولغا، وهي قريبة من سراي القديمة التي بناها أخوه باتو خان، واتخذها مقرا لحكمه، وحرص على أن يجعلها مدينة ذات عمران إسلامي، فأنشأ بها المساجد والمدارس والأسواق، وصفها المؤرخ ابن عرب شاه "بأنّها مدينة إسلامية البنيان بديعة الأركان"[42]، كما بنى بها قصرا عظيما على الطراز العربي الإسلامي اتخذه مقرا لحكمه، قيل في وصفه " قصر بركة في سراي على عليائه هلال من ذهب ويحيط به سور وأبراج "[43] فأصبحت بذلك مدينة سراي تعرف بسراي بركة وبلاد القفجاق بدشت بركة.

حرص هذا الخان المسلم على أن يأخذ بالإسلام جميع أهل بيته، فأسلمت زوجته خُجَكْ خاتون، واتخذت لنفسها مسجدا من الخيام يحمل معها حيث توجهت ونزلت[44] كما خصص لكل أمير و أميرة في البلاط إماما ومؤذنا خاصا به ولكل خاتون مؤذنا وإماما لإقامة الصلاة [45]، كما حرص مغول القبيلة الذهبية على أداء فرائض الإسلام خاصة الصلاة التي تعتبر عمود الدين وأساسه المتين، وكان معظم الجنود في جيش بركة خان مسلمون، ولم يكن أحد في جيشه يتعاطى الخمر، وكل فارس يحمل معه في عتاده العسكري سجادة للصلاة، كما وضعت لهم مساجد من الخيام تحمل معهم عندما يخرجون للحروب، تقام فيها الصلوات الخمس لها أئمة ومؤذنون[46]، كما أسلم قائد جيشه "بيسو نوغاي" الذي كان معسكره في

الأنحاء الشمالية من جنوب روسيا حيث استقر هناك مع الكثير من أفراد أسرته، والذين عرفوا فيما بعد بشعب "نوغاي" المسلم، وقد قاموا بدور كبير في نشر الإسلام في تلك المنطقة[47] .

أدت التحولات الدينية لمغول القبيلة الذهبية الى رسم علاقاتهم الخارجية ، وكان لتلك التغيرات أثرها في سياستهم وتعاملاتهم التي أصبحت تخضع للدين والمذهب الذي اعتنقوه وظهر ذلك جليا في حرص السلطان بركة خان على التواصل مع العالم الإسلامي والارتباط بعلاقات سياسية واقتصادية مع الدول الإسلامية خاصة في المشرق الإسلامي، فقد أدى اعتناق بركة خان للإسلام الى ارتباطه بعلاقات مع الخليفة العباسي في بغداد المستعصم بالله (640-656هـ/1242-1258م)[48]، وأثمرت العلاقة بين بركة خان والشيخ الباخرزي الى حدوث مراسلات بينه وبين الخليفة العباسي لِما كان من علاقة مودة بين الشيخ والخليفة الذي "كان يهدي له من بغداد التحف والهدايا "[49]، ويبدو أن الشيخ الباخرزي هو من نصحه بالتقرب من خليفة المسلمين، وقد أكدت المصادر ذلك فقد روى المؤرخ ابن تغري بردي أنه " قدم الى بغداد سنة 644هـ /1246م رسولان إلى الخليفة "المستعصم بالله أحدهما من بركة خان "[50] .

وقد نتج عن تلك العلاقة اعتراف بركة خان بتبعيته للخليفة العباسي، وهو فعل خطير ويعتبر خروجا عن التقاليد المغولية التي تدين بالتبعية للخان الأعظم تلك التبعية التي لم يلتزم بها خانات القبيلة الذهبية في علاقتهم مع الخانات العظام، ورغم أن المصادر العربية لم تذكر تفاصيل العلاقة التي جمعت بين بركة خان والخليفة في بغداد، إلا أن الأكيد أنها ربما تدخل في سياق المراسلات الشخصية بينهما وتمثلت في تبادل الرسائل والهدايا، فبركة في تلك الفترة لم يكن يمثل أية سلطة سياسية كونه لم يتولى الحكم بعد، وربما ما دفع الخليفة لتوطيد علاقته مع بركة خان لعلمه باعتناقه الاسلام خاصة أنّ المغول خلال تلك الفترة كانوا يشكلون أكبر تهديد للخلافة الإسلامية في بغداد.

إنَ التبعية والموالاة اللتان أظهرهما السلطان بركة خان للخليفة العباسي بقيت حتى بعد سقوط الخلافة العباسية وانتقال مقر الخلافة الى القاهرة، وفي هذا السياق فقد أشار السلطان بركة خان في مراسلاته مع سلطان المماليك الظاهر بيبرس(658-676هـ / 1260-1277م)[51] اعترافه بالخليفة العباسي في القاهرة وتبعيته له، وأثنى على السلطان الظاهر

بيبرس لأنّه أعاد إحياء الخلافة العباسية ونقل مقرها إلى مصر حيث كتب في احدى رسائله الى السلطان بيبرس "...ثم لنوضح لعلم السلطان أنه موفق للخيرات والسعادات ،لأنّه أقام إماما من آل العباس في خلافة المسلمين وهو الحاكم بأمر الله (661-701هـ/1262-1302م)، فشكرت همته وحمدت الله تعالى ..."[52].

الى جانب العلاقات مع الخلافة العباسية فقد جمعت بين السلطان بركة خان وبين سلطان المماليك في مصر الظاهر بيبرس علاقات دبلوماسية تطورت فيما بعد الى علاقات اقتصادية، وكثرت بينهما السفارات والمراسلات ، وحضي السلطان بركة خان بمكانة عالية لدى سلطان مصر الذي رحب بإسلامه، واعتبره من الشخصيات الإسلامية التي لها مكانتها في العالم الإسلامي في تلك الفترة، وتقديرا له أصدر أمرا إلى الخطباء في المساجد للدعوة له على منابر المساجد بمكة والمدينة المنورة، والقدس، ومصر، والقاهرة بعد الدعاء للخليفة العباسي وسلطان مصر[53]، كما بعث له بهدايا ثمينة كان من أبرزها مصحف بخط "عثمان بن عفان" رضي الله عنه وسجدات للصلاة[54].

ومن خلال السفارة الأولى التي بعثها السلطان بركة خان الى السلطان الظاهر بيبرس سنة 661هـ / 1263م أخبره فيها بإسلامه وإسلام قومه وعشيرته واحدا واحدا وردا على تلك السفارة أوفد السلطان الظاهر بيبرس سنة 663هـ/1265م سفارة فيها "شُجَاع الدين بن الدَايَة الحاجب" سفيرا إلى بركة خان، وفي هذه السفارة أخبره السلطان أنّه اعتمر عنه ثلاث عمرات وأرسل له بعضا من ماء زمزم[55]، وأثمرت الدبلوماسية السياسية بين مغول القبيلة الذهبية والمماليك الى تطور العلاقات بينهما والتي تحولت الى علاقات مودة ازدادت ارتباطا بحدوث علاقات مصاهرة، والتي تمثلت في زواج السلطان الظاهر بيبرس من ابنة السلطان بركة خان، والتي أنجب منها ابنه الأول وولي عهده الملك السعيد "ناصر الدين بركة خان" الذي تولى الحكم بعده(676-678هـ / 1277-1279م) [56].

هكذا أدى اعتناق بركة خان للإسلام الى حدوث تقارب بينه و بين المماليك، ولكن بالمقابل أعلن العداوة ضد ابن عمه هولاكو(654-663هـ /1256-1265م) [57] الذي نقم عليه حملته على بغداد، فقد كان بركة خان قد اعترض على حملة هولاكو سنة651هـ /1253م، فما إن بلغه خبر خروج تلك الحملة شعر بالانزعاج، وأرسل الى أخيه باتو خان الذي كان خانا على مملكة القبيلة الذهبية يطلب منه التدخل لدى الخان الأعظم منكو خان (648-655هـ/1250-

1257م) لوقف الحملة ، ونظرا لما كان يتمتع به باتو خان من تأثير على جميع أبناء جنكيز خان[58]، استجاب الخان الأعظم لطلب باتو خان وكتب إلى هولاكو الذي كان قد عبر نهر جيحون يأمره بوقف الحملة، وبناء على أوامر الخان عسكر هولاكو بجيشه في تلك المنطقة مدة سنتين حتى توفي باتو خان فعاد هولاكو واستأذن أخاه منكو خان مرة ثانية في استكمال حملته سنة 653هـ/ 1256م و التي نتج عنها سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية[59].

أدت حملة هولاكو المدمرة على بغداد وما نتج عنها من سفك دماء المسلمين وقتل الخليفة العباسي، الى رد فعل ساخط من بركة خان ضد ابن عمه هولاكو، فقد نقم عليه فعلته بالمسلمين وقتله خليفة المسلمين، خاصة بسبب ما كان من علاقة طيبة بينهما، وقال بركة خان في ذلك مهددا "أن هولاكو قد دمر جميع مدن المسلمين وقضى على أسر ملوك الإسلام جميعهم، ولم يميز بين الصديق والعدو، وأعدم الخليفة دون مشورة كبار الأسرة، فلو أمدني الله لطالبته بدماء الأبرياء"[60]، لذلك قام بركة خان بعد توليه حكم في القبيلة الذهبية بإعلان الحرب ضد هولاكو، معتبرا أن الدين الإسلامي يطلب منه اعلان الجهاد ضد أعداء الإسلام ومن سفك دماء المسلمين، وكتب الى السلطان الظاهر بيبرس سنة 661هـ/ 1263م يعرض عليه التحالف ضد هولاكو في رسالة طويلة، كان أبرز ما جاء فيها " فليعلم السلطان أنّي حاربت هولاكو الذي هو من لحمي ودمي لإعلاء كلمة الله وتعصبا لدين الإسلام، لأنه باغي والباغي كافر بالله ورسوله ..." [61]، فبركة خان أعلن العداوة ضد ابن عمه نصرة للإسلام واعلاء لكلمة الله، وساهم التحالف العسكري ضد هولاكو مؤسس الدولة الالخانية في إيران الى تقوية العلاقات بين الظاهر بيبرس والسلطان بركة خان وتطورت تلك العلاقات من تحالفات عسكرية، الى علاقات تجارية ثم علاقات مصاهرة بين الأسرتين المغولية والمملوكية استمرت لسنوات طويلة.

3. خاتمة:

كان لإسلام مغول القبيلة الذهبية دور كبير في انتشار الاسلام في مناطق حوض نهر الفولغا الذي تحول الى نهر إسلامي خالص من منبعه الى مصبه، وبفضلهم انتشر الإسلام في شبه جزيرة القرم التي استقر بها مغول القبيلة الذهبية منذ نهاية النصف الأول من القرن

الثامن الهجري، الثالث عشر ميلادي، والذين عرفوا بمغول القرم ونشروا الدين الإسلامي بين سكانها من الأتراك، وجذبوا من كان بها من أجناس أوربية وإغريقية الى الإسلام.

يمثل عهد السلطان بركة خان تحولا كبيرا في تاريخ مغول القبيلة الذهبية وذلك بتحول مملكته من الوثنية إلى الإسلام، وكذا جهوده في نشر الإسلام بين المغول والأتراك وتطبيقه تعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية، والخوانين الذين تولوا الحكم في المملكة من بعده، منهم من أسلم ومنهم من بقي على دين المغول، وحتى الذين لم يسلموا ظلوا محافظين على إسلامية الدولة، لكن العصر الذهبي للإسلام في المملكة كان مع السلطان محمد أوزبك (712-742هـ /1313-1340) الذي اكتمل في عهده انتشار الإسلام في كامل مملكة القبيلة الذهبية.

كان لإسلام مغول القبيلة الذهبية أثره الكبير في استمرار انتشار الإسلام بين المغول وبخاصة داخل الأسرة المغولية الحاكمة وبين أحفاد جنكيز خان، فأسلم مغول إيران الالخانيون أحفاد هولاكو، ثم أسلم من بعدهم أحفاد "جغتاي بن جنكيزخان" الذين حكموا تركستان وعرفوا بالمغول الجغتائيين، وكان لهذا التحول الديني أثره الكبير في ظهور نهضة علمية ونشأة حضارة إسلامية مغولية.

لم يكن اسلام المغول مجرد تغيير في معتقداتهم الدينية فقط، بل إن اسلامهم يمثل تغييرا جذريا لحياتهم الاجتماعية، ذلك أن الإسلام نقلهم من حياة البداوة والنظام القبيلة الذي نشأوا عليه في منغوليا الى حياة التمدن والحضارة، وهو ما عبر عنه المؤرخ الروسي بارتولد الذي قدم تفسيرا جميلا وواقعيا عن إسلام القبائل البدوية المغولية والتركية في آسيا، حيث اعتبر بأن الإسلام هو دين عالمي وبالمقاربة بين هؤلاء البدو والإسلام الحضاري المتمدن فإن اعتناق هؤلاء للإسلام ليس تحولا عقائديا فقط، وإنما يمثل تغييرا لحالة اجتماعية، وتحولا من حياة البداوة الى حياة التمدن، ذلك لأن الإسلام قام على أسس أخلاقية توافق الفطرة البشرية، لذلك استطاع التغلغل الى قلوب المغول المتوحشة، فتأثروا بالقيم الإسلامية العالية التي لم تكن ديانتهم الشامانية تدعوا لها، وهذا إنما يدل على أن المغول تأثروا بمدنية الشعوب التي احتكوا بها وتعرضت لغزوهم ووجدوا أنفسهم جنبا الى جنب مع أصحاب الديانات السماوية الراقية.

انتشار الإسلام بين المغول يمثل أكبر ضربة تلقتها البابوية والمشروع الصليبي وكل مشاريع التبشير الأوربية التي سعت لتحويل المغول الى المسيحية، فقد كان الغرب اللاتيني ومن

وراءه الكنيسة الكاثوليكية في روما ينظرون الى هؤلاء المغول على اعتبار أنهم قوة جديدة أرادوا كسبهم كحليف عسكري ضد المسلمين، خاصة بعد أن فشل ملوك أوربا في تحقيق حلم الانتصار على المسلمين في الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي، وكانت أوربا تسعى من وراء دعوة المغول الى اعتناق المسيحية، إقامة حلف صليبي معهم هدفه ضرب المسلمين في الشرق واسترداد بيت المقدس والسيطرة على المقدسات الدينية في فلسطين .

4. الإحالة والتهميش:

1المغول، قبائل بدوية رعوية، موطنها هضبة منغوليا الواقعة شمال صحراء جُوبِي، بين بحيرة بَايْكَال في الغرب وجبال خَنْجَان على حدود مَنْشُورْيَا، وكانت قبائل المغول والتتار منقسمة وفي حروب دائمة فيما بينها، إلى أن استطاع جنكيزخان التوحيد بينها، وأخضعها لسلطته، ونصب نفسه خانا عليها سنة 603 هـ / 1206م، الصياد فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ج.1، ص25 وما يليها من عدة صفحات.

2 جنكيزخان، اسمه تيموجين بن يوسكاي بن بهادر، ولد في منغوليا عام 549هـ / 1155م، كان أبوه يوسكاي زعيما لقبيلة "القيات" المغولية، قاد عدة حروب ضد القبائل المغولية المتفرقة، فهزم بعضها كقبيلة "التانجو" وقبيلة "النايمان" أما بقية القبائل فظل يؤلب الواحدة على الأخرى فيتحالف مع القوية منها على الضعيفة ويحيك الدسائس بينهم ليضعفهم حتى استطاع أن يخضع جميع تلك القبائل لسلطته ، وتحول بعد كل هذه الانتصارات الى أقوى شخصية مغولية، ثم أعلن في خريف عام 604هـ/ 1206م زعامته على كل القبائل المغولية، واتخذ لنفسه لقب الخان الأكبر وأصبح اسمه جنكيز خان وجعل من مدينة قوراقورم عاصمة له ومقرا لحكمه، اشتهر عنه الى جانب حروبه وضعه دستورا لتنظيم حياة المغول السياسية والاجتماعية والعسكرية، عرف "بالياسا" أو "اليساق"، الصياد فؤاد عبد المعطي، نفس المرجع، ج.1، ص39 وما يليها من عدة صفحات.

3الأبناء الأربعة لجنكيز خان هم، جوجِي وأُوكُتَاي وجُكُتَاي وتُولُوي، وقد قسمت الإمبراطورية المغولية بينهم على النحو التالي، منح جوجي المناطقة الواقعة بين نهر الفولغا والسواحل الغربية لبحر قزوين، وعين اوكتاي وليا للعهد وجعله خليفته في الحكم من بعده ومقره في منغوليا، ومنح لابنه تولوي بلاد الخَطَا، ولجكتاي بلاد الإيْغُور وأقاليم ما وراء النهر وسَمَرقَنْد وبُوخَارَى، القلقشندي (أبو العباس أحمد)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914، ج.4، ص 308.

[4]جوجي هو الابن الأكبر لجنكيزخان، وقد اشترك إلى جانب أبيه وإخوته في غزو الدولة الخوارزمية، وأوكلت إليه قيادة الجيش المغولي الذي قصد المناطق الواقعة على ساحل نهر سِيحُون، حيث مدينة "جُنْد" إحدى الحصون الخوارزميين المهمة، وبعد أن تمكن جوجي من إخضاع تلك المناطق التحق ببقية الجيش المغولي المتوجه لغزو إقليم خوارزم، وبعد انتهاء العمليات العسكرية المغولية ضد الخوارزميين، توجه إلى منطقة القفجاق ليقضي الصيف هناك، متفرغا للصيد واللهو تاركا الحرب، وذكرت بعض المصادر أنه مات مقتولا، وأن أباه جنكيز خان هو من أمر بقتله بوضع السم له، وذلك بعد أن وصلته أخبار عن أن جوجي كان غير راض عن سياسة أبيه القائمة على قتل وتدمير البشر، وأنه كان ينوي التحالف مع المسلمين ضده، أنظر عن هذه القضية الجوزجاني (أبو عمر منهاج الدين عثمان)، طبقات ناصري، ترجمة وتقديم، ملكه علي تركني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، (د.ت)، ج.2، ص 164؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج.4، ص 308؛ الرمزي(م.م)، تلفيق الأخبار وتلقيح الأثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، المطبعة الكريمية الحسينية، اورنبرغ، (د.ت)، ج.1، ص364

[5]البلغار، قوم من الترك، قال ياقوت الحموي "أنهم قوم مولدون من الترك والصقالبة، وبلغار مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال، شديدة البرد لا يكاد الثلج يقلع عن أرضها صيفا وشتاء، وهي واقعة على نهر الفولغا"، وكان ملك البلغار ألمش بن ألطوار اعتنق الإسلام هو وشعبه في أيام الخليفة العباسي المقتدر بالله، الحموي ياقوت (شهاب الدين)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج.1، ص ص 458، 486.

[6]الروس، كلمة فِنية (الفلندية) أطلقها الفنيون(الفلنديون) والسلاف على السويديين الذين قدموا الى بلاد الروس واستوطنوا بها، وهي تعني البحارة، وذلك لخبرتهم ومهارتهم في ركوب السفن، ينتمي الروس الى جنس الصقالبة أو السلاف، عاشور عبد الفتاح سعيد، أوربا العصور الوسطى الطبعة الأولى، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص 214.

[7]الجركس، ويعرفون أيضا بالشركس والسركس، وهم شعوب تركية موطنهم الأصلي قفاسسيا الشمالية، تمتد مناطق انتشارهم مع السفوح الشمالية لجبال القوقاز، بينما تمتد حدودهم الجنوبية الى ساحل بحر قزوين شرقا الى ميناء صخوم على البحر الأسود غربا، زاو محمد جمال صادق أبه، موسوعة تاريخ القفقاس والجركس، الطبعة الأولى، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1996، م.1، ص43 ومايليها من عدة صفحات.

[8]الخوارزميون، ينسبون الى الدولة الخوارزمية، وهي دولة تركية مسلمة، تأسست على أنقاض الدولة السلجوقية، حكمت أجزاء كبيرة من آسيا الوسطى وغرب إيران، بلغت درجة عالية من الحضارة،

سقطت على يد المغول، لمعرفة التفاصيل عن هذه الدولة أنظر، النسوي (محمد بن أحمد)، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق، حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، (د.ت)، ص 19وما يليها من عدة صفحات.

[9]القفجاق، بدو رحل، وهم من الجنس التركي، كان موطنهم المنطقة الواقعة بين نهري ايتل وايرتش المعروفة بصحراء القفجاق، أو دِشْت القفجاق، التي أصبحت تنسب إليهم ابتداءً من القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي بعد أن كانت تعرف بصحراء الغُز نسبة إلى قبائل الغز التركية التي استوطنت تلك المنطقة ثم رحلت عنها، وقد اختلط شعب القفجاق بالمغول وانصهروا معهم في دولة واحدة عرفت بمملكة مغول القفجاق، الرمزي، المصدر السابق، ج.1، ص 362.

[10] أبناء جوجي هم باتو، وبركة، أورْدَا، وشيبان، وتَانْجُوت، وتِيفِيل، الرمزي، المصدر السابق، ج.1، ص364.

[11]Grousset René :L'empire des steppes(Attila,Gengis-khan,Tamerlan) , édition Payot , Paris , quatrième édition , 1965, p 487.

[12]أطلق على مملكة القبيلة الذهبية عدة تسميات، فعرفت بمملكة مغول القفجاق، مملكة باتو نسبة لباتو خان، مملكة دشت القفجاق، المملكة الشمالية، البلاد الشمالية، الألتون أوردا، كما عرفت بمملكة بركة، وبرية بركة نسبة إلى السلطان بركة خان، ومملكة أوزبك نسبة إلى السلطان محمد أوزبك.

[13]نوار صلاح الدين محمد، الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية (658-783هـ /1260-1381م)، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت)، ص14.

[14]سراي، كلمة فارسية أخذها الأتراك عنهم، كان الترك يطلقونها على مقام الخان، ثم اتسع معناها ليشمل المدن التي تنشأ حول السراي، وبعد تولي السلطان "بركة خان" قام ببناء سراي جديدة قريبة من سراي التي بناها أخوه باتو خان واتخذها مقرا لحكمه وبنى بها قصرا على عليائه هلال، وأصبحت بعد تحول المغول إلى الإسلام حاضرة من الحواضر الإسلامية قال الرحالة ابن بطوطة في وصفها وهو الذي زارها أيام السلطان "محمد ازبك" أنها " من أحسن المدن متناهية الكبر تغص بأهلها، حسنة الأسواق متسعة الشوارع ..."، ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد اللواتي)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، بيروت، (د.ت)، ج.2، ص 282 .

15 الصياد فؤاد عبد المعطي، المرجع السابق، ج1، ص 335.

16مصطاف ثامر نعمان، التغيرات الدينية في عهد خانات القبيلة الذهبية، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد 16، جوان 2014، ص 251.

[17]ابن تغري بردى (أبو المحاسن يوسف)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج.7، ص 194.

[18]الجوزجاني، المصدر السابق، ج.2، ص 226.

[19]الطريقة الكبراوية من أشهر الطرق الصوفية التي كانت بلاد ما وراء النهر مركزا لها، ظهرت في آسيا خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي وهي تنسب إلى مؤسسها الشيخ نَجْم الدِين كُبْرا، كان لهذه الطريقة دور بارز في تعميق انتشار الإسلام في المناطق الواقعة شمال خوارزم، وفي نشر الإسلام بين القبائل التركمانية، وهذا الجهد كان له أثره في انتشار الإسلام في بلدان آسيا الوسطى، فانتشرت تعاليم نجم الدين كبرا ومبادئه وامتدت من وسط آسيا الى خراسان، والهند، وغرب آسيا، وتفرعت عنها عدة طرق صوفية منها الطريقة الفردوسية، والطريقة النورية والطريقة الركنية، والطريقة الحمدانية وغيرها، شمس طارق أحمد، التصوف في وسط آسيا، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت، 2016، ص147.

[20]هو أبو المعالي سعيد بن المطهر، وشهرته سيف الدين الباخرزي، قال عنه الذهبي أنّه "كان إمامًا محدثًا ورعًا زاهدًا تقيًا ... له وقع في القلوب و مهابة في النفوس " ولد سنة 586 هـ بِبَاخَرز من مدن نَيسبُور، صحب الشيخ "نجم الدين كبرا" شيخ الطريقة الكبراوية، وأخذ عنه العلم وأصول الطريقة، ثم قدم الى بخارى سنة 622 هـ وأقام بها زاوية للعلم والدعوة، توفي سنة 659هـ، الذهبي(شمس الدين محمد)، سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد ومحيي هلال السرحان، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985،ج.23، ص ص 363، 364؛ الرمزي، المصدر السابق، ج.1، ص 409 .

[21]الدوادار بيبرس المنصور، زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، تحقيق، دونالد. س وريتشاردز، الطبعة الأولى، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1998، ص ص 14، 15؛ البار محمد علي، الطبعة الأولى، كيف أسلم المغول، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن،2008، ص 69.

[22]الذهبي، المصدر السابق، ج.23، ص 366.

[23]الشيخ نَجْم الدِين كُبْرا المكنى "بأبي الجَنَّابْ"، وهو أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي الخَيُوقِي، نسبة الى بلدة خَيُوق من نواحي خوارزم، ولد سنة 540هـ ومات سنة 618هـ / 1221م، على يد المغول بعدما

خرج مع الذين خرجوا لمقاومة الغزو المغولي على الدولة الخوارزمية، الذهبي، المصدر السابق، ج.22، ص 113.

[24]البار محمد علي، المرجع السابق، ص 69.

[25]توماس وأرنولد، الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، 1971م، ص 259.

[26]وليام روبروك، راهب فرنسسكاني أرسله ملك فرنسا لويس التاسع المتواجد في مدينة قيسارية بعد خروجه على رأس حملة صليبية، فأوفد سفارة الى المغول سنة 1252م، كان الهدف منها السماح للبعثة بالتبشير بالمسيحية وعرض التحالف بينه وبين المغول، وذلك بعد أن وردته بعض الأخبار عن اعتناق بعض المغول للمسيحية، وقد كان مصير تلك السفارة أنها فشلت في إقامة تحالف مع المغول، و قد دون الرحالة روبروك جميع مشاهداته عن بلاد المغول في كتابه الذي أسماه Yoyage de Guillaum De Rubruquis؛ عمران محود سعيد، المرجع السابق، دار المعرفة الجامعية، بيروت، (د.ت)، ص 232 .

[27]ممر الدربند ويعرف أيضا بدربند شروان، يسميه الفرس دربند، بناه ملك الفرس "انو شروان"، فسمي باسمه، ثم خففت بإسقاط شطر اسمه، يسميه المسلمون باب الأبواب، فتحه القائد المسلم سراقة بن عمرو في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة 20هـ، الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج.3، ص 399.

[28]Rubruk Williem, Yoyage de Guillaum De Rubruquis، Libairie Delagrave, Paris, 1888, p111.

[29]عبد الحليم رجب محمد، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص 76.

[30]كانت رسالة خاتون زوجة لعثمان خان، آخر حكام دولة القُاراخَانيين، التي قضى عليها المغول، ثم تزوجها "جوجي خان" بعد وقوعها في الأسر سنة 1220م، يلماز أزطونا، المدخل إلى التاريخ التركي، ترجمة، أرشد الهرمزي، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2005، ص176.

[31]السلطان علاء الدين خوارزمشاه، هو قطب الدين محمد ابن السلطان علاء الدين تكش، اتخذ لنفسه لقب أبيه علاء الدين خوارزمشاه، تولى بعد وفاة أبيه سنة 596هـ / 1199م، بلغت الدولة الخوارزمية في عهده أقصى اتساعها، اجتاح المغول بقيادة جنكيز خان دولته سنة 617 هـ / 1259م، فر من بلاده عندما عجز عن مقاومة جحافل المغول، توفي محسورا سنة 617 هـ /1259م، راجع سيرته عند النسوي، المصدر السابق، ص 49 وما يليها من عدة صفحات

[32]الخاتون، كلمة تركية مغولية، تعني المرأة الشريفة العالية المقام، كان لقبا يطلق على نساء الملوك الأتراك والمغول من الزوجات والأمهات والبنات، وكذلك زوجات الوزراء والمسؤولون في الدولة.

[33]الجويني (علاء الدين عطا ملك)، تاريخ فاتح العالم (جهنكشاي)، ترجمة السباعي محمد السباعي، تحقيق، محمد عبد الوهاب القزويني، الطبعة الأولى، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2007، ج1، ص 268.

[34]شاكر محمود، التاريخ الإسلامي، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، السعودية، 2000، ج.7، ص 141.

[35]قبائل النوغاي، ينسب شعب النوغاي الى "بيسُو نُوغَاي" قائد جيش بركة خان، وهم ينتمون الى قبائل القفجاق التركية الذين امتزجوا مع المغول، وعرف النوغاي أنهم محاربون أشداء ورغم مهارتهم في الزراعة الا أن حياتهم كانت تقوم على البداوة وحياة الترحال كغيرهم من الشعوب التركية، وبعد انقسام مملكة القبيلة الذهبية أسسوا خانية عرفت بخانية النوغاي شملت مناطق واسعة امتدت بين بحر الأورال وبحر قزوين، الدوادار بيبرس المنصور، المصدر السابق، ص 100؛ الرمزي، المصدر السابق، ج.1، ص 425؛ عبد الحليم رجب محمد، المرجع السابق، ص 117 .

[36]سيبيريا، أكبر صحراء جليدية في العالم، تقع على أراضي واسعة شمالي قارة آسيا تمتد بين جبال الاورال غربا والمحيط الهادي شرقا، وبين تركستان وجبال أواسط آسيا جنوبا، والمحيط المتجمد الشمالي شمالا، تبلغ مساحة أراضيها أربعة عشر مليون كيلومتر مربع، محمود شاكر، المرجع السابق، ج.21، ص 245.

[37]ولي أوف راميل ونبي أوف زينات، مراحل انتشار الإسلام في قفقاسيا، مقال ترجمه من الفارسية، اسماعيل أحمد اوغلو، تاريخ الزيارة 2016/04/10،http:www.bizturkmeniz.com، ص 1.

[38]الرمزي، المصدر السابق، ج.1، ص 410.

[39]توماس وأرلوند، المرجع السابق، ص 259.

[40]ابن عرب شاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، مطبعة اردو كائيد، بندر، الهند، (د.ت)، ص 86.

[41]ابن بطوطة، المصدر السابق، ج.2، ص 291؛ الرمزي، المصدر السابق، ج.1، ص 409.

[42]ابن عرب شاه، المصدر السابق، ص 84.

[43]لقلقشندي، المصدر السابق، ج.4، ص 457.

[44]المقريزي (أبو العباس تقي الدين)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد عبد عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،1997، ج.1، ص 486.

[45]الرمزي، المصدر السابق، ج.1، ص 439؛ توماس وارلوند، المرجع السابق، ص 260.

[46]الرمزي، نفس المصدر، ج.1، ص 408.

[47]الدوادار بيبرس المنصور، المصدر السابق، ص 100؛ الرمزي، نفس المصدر، ج.1، ص 425؛ عبد الحليم رجب محمد، المرجع السابق، ص 117.

[48]المستعصم بالله، هو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله، آخر الخلفاء العباسيين بالعراق حكم الفترة الممتدة من (640-656هـ /1242 – 1258م) في عهده وصل الجيش المغولي بقيادة هولاكو الى بغداد وقضى على الخلافة العباسية وقد كان الخليفة نفسه من بين ضحايا ذلك الغزو، وتم قتله بأن لف في بساط ورفس حتى مات، وقتل معه الكثير من أفراد أسرته، السيوطي (جلال الدين)، تاريخ الخلفاء، تحقيق عبد الله المنشاوي، مكتبة الايمان القاهرة،2003، ص 453 ومايليها.

[49]الذهبي، المصدر السابق، ج.23، ص 367.

[50]ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج.6، ص315.

[51]السلطان الظاهر بيبرس، هو ركن الدين أبو الفتوح بيبرس بن عبد الله البندقداري الصالحي النجمي الأيوبي التركي، سلطان مصر والشام والحجاز (658-676 هـ / 1260 – 1277م)، ولد بصحراء القفجاق، بيع بدمشق "للعماد الصائغ"، ثم اشتراه الأمير "علاء الدين أيدكن الصالحي البندقداري"، فنسب إليه، ثم اشتراه الملك "الصالح الأيوبي"، وأعتقه وجعله من مماليكه، انظر ترجمته وسيرته، ابن شداد (عز الدين محمد بن علي)، تاريخ الملك الظاهر، اعتنى به، أحمد حطيط، دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن،1983، ص 31 ومايليها من عدة صفحات .

[52]العيني (بدر الدين)، عقد الجمان في تاريخ الزمان، تحقيق محمد أمين، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1985، ص 153.

[53]المقريزي، المصدر السابق، ج. 1، ص 599.

[54]الدوادار بيبرس المنصور، المصدر السابق، 84.

[55]النويري (شهاب الدين أحمد)، نهاية الارب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،2004، ج.30، ص75.

[56]بارتولد (فاسيلي فلاديميروفيتش)، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة، أحمد السعيد سليمان، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 214.

[57]هولاكو، هو هولاكو بن تولوي بن جنكيز خان، قاد حملة عسكرية سنة1256 م بأمر من أخيه الخان الأعظم "منكو خان"، واستولى على بلاد خراسان وأذربيجان والعراق وايران والموصل والجزيرة وديار بكر وأجزاء من بلاد الشام، وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله، أسس مملكة مغولية عرفت بإلخانية مغول ايران، التي حكمها هو وأبنائه من بعده، توفي سنة 663 هـ / 1265م، تولى الحكم بعده ابنه أبغا بن هولاكو، انظر ترجمته عند الهمذاني، جامع التواريخ (الإلخانيون)، م.1، ج.1، ترجمة، فؤاد عبد المعطي الصياد وآخرون، دار أحياء الكتب العربية،(د.ت)، ص218 وما يليها من عدة صفحات.

[58] الدوادار بيبرس المنصور، المصدر السابق، ص 35 وما يليها من عدة صفحات.

[59]نفسه.

[60]الهمذاني، المصدر السابق، م.1، ج.1، ص 233.

[61]الدوادار بيبرس المنصور، المصدر السابق، ص 82؛ المقريزي، المصدر السابق، ج.1، ص 558.

5. قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتاب العربي القديم:

- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد اللواتي)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج.2، دار الشرق العربي، بيروت، (د.ت).
- ابن تغري بردى (أبو المحاسن يوسف)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة 1992.
- الجوزجاني (أبو عمر منهاج الدين عثمان)، طبقات ناصري، ج.4، ترجمة وتقديم، ملكه علي تركني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، (د.ت).

-الجويني (علاء الدين عطا ملك)، تاريخ فاتح العالم (جهنكشاي)، ج.1، ترجمة السباعي محمد السباعي، تحقيق، محمد عبد الوهاب القزويني، الطبعة الأولى، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2007

-الحموي ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت).

-الدوادار بيبرس المنصور، زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، تحقيق، دونالد.س وريتشاردز، الطبعة الأولى، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1998.

-الذهبي (شمس الدين محمد)، سير أعلام النبلاء، ج.23، تحقيق، بشار عواد معروف، ومحيي هلال السرحان، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.

-الرمزي(م.م)، تلفيق الأخبار وتلقيح الأثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، ج.1، المطبعة الكريمية الحسينية، اورنبرغ، (د.ت).
-السيوطي (جلال الدين)، تاريخ الخلفاء، تحقيق عبد الله المنشاوي، الطبعة الأولى، مكتبة الايمان القاهرة، 2003.
-ابن عرب شاه (أبو العباس شهاب)، عجائب المقدور في أخبار تيمور، مطبعة اردو كائيد، بندر، الهند، (د.ت).
-العيني (بدر الدين)، عقد الجمان في تاريخ الزمان، تحقيق محمد أمين الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985.
-القلقشندي (أبو العباس أحمد)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج.4، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914.
-المقريزي (أبو العباس تقي الدين)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج.1، تحقيق، محمد عبد عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
-النسوي (محمد بن أحمد)، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق، حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي.
-النويري (شهاب الدين أحمد)، نهاية الارب في فنون الأدب، ج.30، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
-الهمذاني (رشيد الدين فضل الله)، جامع التواريخ (الإلخانيون)، م1، ج.1، ترجمة، فؤاد عبد المعطي الصياد وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
-Rubruk Williem, Yoyage de Guillaum De Rubruquis, Libairie Delagrave, Paris , 1888 .

ثانيا: الكتاب العربي الحديث أو المترجم:

- بارتولد (فاسيلي فلاديميروفيتش)، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة، أحمد السعيد سليمان، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996.
- البار محمد علي، كيف أسلم المغول، الطبعة الأولى، دار الفـــتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن،2008.
- توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971م.
- شاكر محمود، التاريخ الإسلامي، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، 2000.

- شمس طارق أحمد، التصوف في وسط آسيا، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت، 2016.
- الصياد فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، ج.1، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.
- عاشور عبد الفتاح سعيد، أوربا العصور الوسطى، الطبعة الأولى، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980.
- عبد الحليم رجب محمد، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).
- عمران محمود سعيد، المغول وأوربا، دار المعرفة الجامعية، بيروت، (د.ت).
- نوار صلاح الدين محمد، الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية (658–783هـ /1260–1381م)، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت).
- يلماز أزطونا، المدخل إلى التاريخ التركي، ترجمة، أرشد الهرمزي، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2005.

-Grousset René ,L'empire des steppes(Attila,Gengis-khan,Tamerlan) , édition Payot , Paris , quatrième édition , 1965.

ثالثا: المقالات:

- فلح محمد يونس، تأثر المغول بالإسلام، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مجلد5، العدد 9، سنة 2011.
- مصطاف ثامر نعمان، التغيرات الدينية في عهد خانات القبيلة الذهبية، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد 16، الصادرة بتاريخ جوان 2014.

رابعا: مواقع الشبكية:

-ولي أوف راميل ونبي أوف زينات، مراحل انتشار الإسلام في قفقاسيا، ترجمة من الفارسية، اسماعيل أحمد اوغلو، http:www.bizturkmeniz.com ، تاريخ الزيارة 2016/04/10.